

كما حدث لشخصيه حلمي.

ان ايراد اسماء الشخصيات العربية في الكتاب ليس في مهمتنا هنا. لكن حقيقة هذه الشخصيات تفرض علينا حضورها الحقيقي والتميز والاصيل، مثل شخصيتي المربيتين، والاطفال، وشخصية الختيارة، في فصل «الانسان كالسنبل»، وشخصية ع. ن. الذي صار يكره اليهود، وشخصية طاهر. حتى ان «منظر جبال سويسري» (محاولة قصة) (ص ١٠٣) تنتقل واقعاً انسانيّاً حقيقياً وابداعياً في آن.

وسواء اتفق القارئ مع غروسمان حول ما كتبه ام لم يتفق^(١)، فان لهذه الوثيقة الادبية اهمية كبيرة في تصوير الواقع وفي تحقيق ما لم ينجح في تحقيقه في روايته سالفة الذكر.

اعادة البحث في الواقع

بعد قراءتنا لرواية «ابتسامه الجدي»، التي لاحظنا فيها مدى التخيل والتميط في شخصية العربي حلمي، نلاحظ ان «الزمن الاصفر» (بشخصياته العربية الطبيعية) كان استكمالاً لم ينهه غروسمان في الرواية. فالرواية كانت تصويرية ودرامية في احيان، لكن الواقع في «الزمن الاصفر» يشكل نفسه بنفسه، والكاتب يعيد انتاجه. ان الاسطورة في «الزمن الاصفر» تنبع من الواقع ولا تفرض عليه قسراً، او على نحو تخيلي واسقاطي غير مؤصل. وتستعيد شخصية حلمي المضخمة وضوحها بواسطة الشخصيات الحقيقية المتنامية طبيعياً في «الزمن الاصفر». فالشخصيات تنمو، وتكبر، في ظل الواقع الذي يتغير ويغلي ويتطور.

لقد نجح الريبورتاج في تصوير الآخر أكثر مما نجح الادب في تصويره. وقد يعود هذا الى ابتعاد الطرفين من بعضهما. لقد قرب الريبورتاج البعد بين الجهتين وجعل الشخصيات، والحديث، والحوار، وحتى الاسطورة، ممكنة وقابلة للتحقيق، في ظل الواقع المرّ الذي يعيشه اهل المناطق المحتلة. ان قراءة هذا الريبورتاج ضرورية، وتوضح ما كان غامضاً في رواية «ابتسامه الجدي». فلقد اسطر غروسمان شخصية حلمي، لكن الاسطورة في «الزمن الاصفر» تنبع من الواقع المعاش.

العلاقة الجدلية بين الرواية والريبورتاج هي انه لا يمكن اسطرة الواقع دون فهمه واستيعابه، استيعاباً حقيقياً واعياً. فالواقع قد يحمل، في طياته، بذوراً اسطورية وتخيلية أكثر بكثير مما يحمله الخيال وصاحبه؛ ولذا، يتوجب دراسة الواقع وفهم تناقضاته وابعاده قبل تخيله واسطرته وفرض ما هو غريب وشاذ عليه.

tinian Conflict as a Metaphor in Recent Israeli Fiction / Poetics Today, Vol. 7:4, 1986, p. 619.

(١) يشعياهو ليفوفيتش، عن العالم وما فيه؛ احاديث مع ميخائيل شاشار، القدس: كيتز، ١٩٨٧، ص ١٨.

(٤) أنظر المصدر نفسه، ص ٦١٨؛ ومقالة يسراييل بارما، «مثل كلمات على سلك»، مؤننايم، ١٩٨٤، ص ٨٤.

(٢) دافيد غروسمان، ابتسامه الجدي، الطبعة السابعة، تل - ابيب: هاكيوتس هاميوئود، ١٩٨٦ (ترد الاقتباسات وصفحاتها في النص).

(٥) Perry, *op. cit.*, p. 618

Perry, Menakhem; *The Israeli - Pales-*(٣)

(٦) التوراة، بيروت: المطبعة الكاثوليكية، بلا